صناعة إنسان

تأليف

خليل علي المرشود

تقديم

د. مطلق جاسر الجاسر

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة جامعة الكويت



شكراً أمــي

شكراً للتي ترعرعت بين يديها فأقلتني بحبها وأدفأتني بشمس حنانها وأظلتني بعطفها وكانت لي الوالدة برحمتها والوالد - بعد فقده - برعايتها.

شكراً للتي صنعتني وهيأت لي سبل الامتياز في الحياة حتى بلغت السبيل وأمسكت جادة النجاح.

شكراً أمي بقدر مطر السماء وماء البحار وينابيع الأرض، وكلمة شكر لا توفي حقك الذي أوصى الإله به من فوق عرشه.

ابنك الذي لا زال صغيراً

بين يديك

إهــــداء

❑ **إلى رفيقة دربي:**

التي رأيت في عينيها حب الطموح والإنجاز فغرست في نفسي حب التحدي والعمل والعيش في تفاؤل وأمل. . .

التي علمتني الإيجابية في النظرة للحياة؛ لأجل حياة مليئة بالإنجاز في المستقبل. .

زوجك الوفي

١٠/رجب/١٤٣٩هـ
٢٠١٨/٣/٢٧م



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإن من أهم ما يبعث الهمة ويثير العزيمة للأمور المهمة لطلب المعالي التعرف على سير أهل العلم والفضل الجامعين بين العلم النافع والعمل الصالح، ممن اشتهر علمهم وذاع صيتهم،

ومن هؤلاء العلماء شيخان جليلان، وعالمان نبيلان، عالمٌ جليل وتلميذه كذلك عالم جليل، وكانا مضرب المثل في حُسن علاقة الشيخ مع تلميذه، وقد أثمرت هذه العلاقة جملةً من المراسلات الماتعة والنافعة.

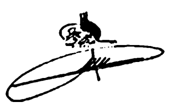
وقد أحسن أخونا الشيخ خليل علي المرشود وفقه الله في صياغة هذه المراسلات على شكل قصة معبرة بين الشيخ وتلميذه، وهذا أسلوب مبتكر جديد في عالم التأليف.

أسأل الله تعالى أن يرحم الشيخين الجليلين وأن يجزي المؤلف الفاضل على ما قدّم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه فقير عفو ربه

مطلق بن جاسر بن مطلق الجاسر



تقديم

د.مطلق جاسر الجاسر
عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة - جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد،

فإن من أهم ما يبعث الهمة ويثير العزيمة للأمور المهمة لطلب المعالي التعرف على سير أهل العلم والفضل الجامعين بين العلم النافع والعمل الصالح، ممن اشتهر علمهم وذاع صيتهم، ومن هؤلاء العلماء شيخان جليلان، وعالمان نبيلان، علمٌ جليلٌ وتلميذه كذلك عالمٌ جليل، وكانا مضرب المثل في حسن علاقة الشيخ مع تلميذه، وقد أثمرت هذه العلاقة جملة من المراسلات الماتعة والنافعة.

وقد أحسن أخونا الشيخ خليل علي المرشود -وفقه الله- في صياغة هذه المراسلات على شكل قصة معبرة بين الشيخ وتلميذه، وهذا أسلوب مبتكر جديد في عالم التأليف.

أسأل الله تعالى أن يرحم الشيخين الجليلين وأن يجزي المؤلف الفاضل على ما قدَّم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة

الحمدلله الهادي من الضلالة المنجي من الغواية المنادي بالإسلام والداعي إلى جنة السلام، والصلاة والسلام على مرشد الأنام لطريق الإسلام، الموصوف بالخُلُق العظيم والخلْق الجميل المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبدالله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اهتدى بهديهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

ابتدأ الله كتابه الكريم بـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بياناً أنه تبارك وتعالى هو المربي للخلق أجمعين على الهدي القويم بسلوك الصراط المستقيم ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وبعد أن خلق الخلق ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ فأنار الإنسان بالعقل وسخر له ما في السماء والأرض، ويسر له السبيل، وجعل الأرض ذلولاً ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ .

وبعد ذلك دعانا بدعوة الإسلام، وأكمله ورضيه لجميع الأنام؛ ليكون سبيلاً ومنهجاً قويماً في التربية الحسنى، فاعتنى بالإنسان جوهراً ومظهراً وأرشده إلى أحسن الأخلاق التي لا يهدي لأحسنها إلا هو سبحانه وتعالى، فلا طريق للسداد في القول والفهم والعمل إلا بالنظر بالمنظور الإلهي السديد لهذه الحياة الدنيا.

والله ﷻ بيّن الدين أفضل بيان وأوضحه أحسن إيضاح ليله كنهاره لا يزيغ عنه إلا هالك، ومن ذلك أنه أرسل الأنبياء والمرسلين هداة مهتدين مرشدين ومعلمين مبشرين ومنذرين؛ ليكونوا أسوة حسنة تهتدي بهم الأمم وتقتفي آثارهم البشرية جمعاء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ وليسهل على الناس العمل بمنهج الله وليروا بأبصارهم السلوك الصواب في العلم والمعرفة والاعتقاد والأخلاق ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾.

ولما كتب الله الموت على كل أحد، صار لزاماً أيضاً على أفضل البشرية وخاتم النبيين محمد ﷺ، فلم يبق

على وجه البسيطة نبي ولا رسول إلا أن الله أخلفنا خيراً بمن ورث هذه الطبقة العلية من العلماء الربانية، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم والعمل والخلق الحسن، فصار لزاماً على الأمة الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم والعناية بدراسة حياتهم ومنهجهم؛ لتصفوا لهم الحياة الدنيا ويفوزوا بما أعده الله للمتقين **«ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»**.

ومن هنا انطلقت لأقرأ في السير، وأستفيد من حياة الربانيين من البشر، الذين أسروا أنفسهم بين كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فوقعت نفسي على ما أقر عينها وأثلج صدرها وأنار درب الحياة لها، فأردت وأحببت أن أخرج ما وقعت عليه؛ ليستفيد منه الكبير ويتعلم منه الشاب والصغير، عسى أن يكون ينبوع هداية في عصر شاعت فيه الرواية للغواية، فكتبتها بشكل عصري مبتدَع وبأسلوب روائي هادف أسعى من خلاله:

تحقيق غاية .. ونشر طموح، وتجديد بناء حقيقي للإنسان تربية وتعليماً وأخلاقًا.

تمثلت فيه حكاية علمية إيمانية نافعة، اقتطفت من ثمراتها فوائد تربوية ماتعة، وسمتها باسم عميق يصف حالها ومضمونها فعنونتها: (صناعة إنسان)

وهي في أصلها عبارة عن:

رسائل حقيقية مكتوبة بخط اليد، حوت فوائد جمة وسؤالات مهمة، قمت باستخلاص شيء من شذراتها وأزهارها ليفوح عبيراً ومسكاً، يعطر كاتبها وقارئها وسامعها بتربويات يافعة نافعة يستفيد منها كل أب وأم ومرب ومعلم وكذا متعلم.

وفي هذا المقام أتقدم بالشكر الوافر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل مبارك فهد الدوسري - وفقه الله- مدير عام دار مدى للنشر والتوزيع على تبنيه طباعة هذا المولود الجديد، وتحفيزه لي إنجاز العمل منذ أن كان فكرة إلى أن خرج اليوم بين يديكم بهذه الصورة الجميلة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى شيخي الفقيه الدكتور مطلق الجاسر، الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة الكويت -

على حسن ظنه وتقديمه العطر لهذا الكتاب.

والله أسأل وهو خير مسؤول وعنده الثواب والقبول أن تكون شمساً دافئة وقمراً منيراً في العلم والعمل والأخلاق والأدب، وأن تسهم في الصلاح والإصلاح والهداية والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبي وإليه المصير.

كتبه:

خليل علي المرشود

١٢ رجب ١٤٣٩هـ

٢٩/٣/٢٠١٨م

١

بدايـة الحكايـة

درس تلميذ عند معلمه منذ نعومة أظفاره وبداية حياته، جالساً بين يديه مستمعاً لما يلقي عليه، مستفيداً من كل كلمة، متأدباً بكل حسنة، حتى كان المعلم له كالأب لابنه، والأخ لأخيه، والصديق لصديقه، معلماً ومربياً ومؤدباً، منتظراً فيه الأمل مستشرقاً به المستقبل.

وبعد علاقة علمية طويلة وحميمة، وبعد أن بلغ التلميذ أشده واستوى على سوقه وامتلأ قلبه وعقله بالعلم والحكمة، وبعد تفوقه وتميزه بين أقرانه، رأت الدولة فيه طموحها للعمل في إحدى ضواحيها، مما اضطره ذلك للسفر بعيداً عن معلمه ومحله الذي ترعرع فيه.

وكان لهذه الرحلة البعيدة الأثر البالغ في نفس المعلم والتلميذ، حيث أورثت بعدها إرثاً علمياً وتربوياً وإيمانياً

يستفيد منه الناس في علاقاتهم إلى يوم الدين.

وهنا بدأت الرحلة العلمية التربوية، وبدأ التلميذ يستقل بنفسه وحياته الجديدة بعيداً عن نظر معلمه؛ ليعمل بما تربى عليه وتعلم.

ورغم البعد الطويل وصعوبة التواصل والاتصال، خصوصاً في ذلك الزمن القديم إلا أن حبل الحب والتربية والتعليم لم يتأثر، بل انتقل اللقاء العلمي والتربوي بينهما من المشافهة إلى المراسلة ومن المجالسة إلى المكاتبة، علاقة ليس لها مثيل في يومنا الحاضر رغم توفر العديد من وسائل الاتصال والتواصل، مما يبين لنا مدى تأثير صدق القلوب والمشاعر في العلاقات الإنسانية والاجتماعية.

❊ ❊ ❊

٢

حيـاة الرسـائـل

سنعيش معاً حياة تلك المراسلات ورواية ما حمله البريد وما طاف به الطوافون بين القرى والمدائن؛ لنروي حكاية واقعية ورواية حقيقية يتبين لنا فيها ما حصل بين المعلم والتلميذ من حب وود وصدق ووفاء وتربية وتعليم.

أرسل المعلم للتلميذ قرابة خمسين رسالة كتبها بخط يده؛ يتواصل فيها معه، ويحكي له ما يدور في خلده وبلده من أحوال علمية وعملية بل ولم يترك أخبار الأرصاد الجوية يصورها بتصوير حقيقي **-وكأن التلميذ يعيش بينهم ومعهم-** من قوة البيان والتعبير والتمثيل التي تحمله تلك الرسائل، فتارة يسأله عن حاله، وتارة يجيب على سؤالاته، وتارة يخبره عن أحوال إخوانه وأقرانه، وتارة يعبر له عن شوقه ومحبة لقائه، ولم تخل

رسالة من الرسائل إلا وفيها الدعاء للتلميذ بالتوفيق والإعانة والتسديد.

وعلى الصعيد الآخر بادل التلميذ معلمه ذات الشعور في بيان المحبة والوفاء؛ حيث إنه لم يقطع حبل الوصال، رغم الانشغال بأمور العمل الجديد، والاشتغال بالتعليم، والدعوة إلى الله في تلك الضاحية البعيدة عن البلاد؛ لأن الإنسان لا يزال بحاجة ماسة لا تنفك لمعلم ومرب يقتدي به ويتعلم منه مفاتيح المعارف وسبيل التعارف والتآلف.

ننطلق معاً لفتح نافذة البدايات لاستقبال شروق شمس البشارات وضوء الابتكارات ودفء المحبة والأخوة الإيجابية، فينتج لنا فيء الأدب والعدالة والقناعة ونور العمل والبناء والأمل، حتى يصل إلينا البريد فنفوز بالمكسب الرابح وأكبر النصائح وأمانة جمع الكلمة.

❊ ❊ ❊

٣

إشراقـة

وفي بداية الرحلة ولما أشرقت شمس صباح ذلك اليوم، إذ يرى التلميذ ما يسر مقلتيه وتقر به عينيه ليمسك برسالة مكتوبة بخط يد يعرفها وأسلوب مشوق يدل على كاتبها ومسطرها، وكلمات تضيء طريق قارئها، وعلامات تدله على جادة الصواب في حياة جديدة مغمورة بالعمل والأمل.

فكان أول ما سطرته يد ذلك المعلم وصية جامعة خرجت من القلب لتدخل مباشرة في القلب دون استئذان ولا واسطة قائلاً له:

(يا بني):

❊ إن جدك واجتهادك في كل ما تقدر عليه من الإصلاح خصوصاً **الإصلاح العلمي**؛ فإنه أعلى فضيلة

حصلها العبد وأنفع وأدوم.

ولا يمنعك ما ترى من حصول المقصود عاجلاً.

(يا بني):

** فإن **السعي** مع **النية الصالحة** لابد أن يكون لهما ثمرات.

والصبر لابد منه في جميع الحالات.

(يا بني):

*** **وآفة العمل**: الضجر والسآمة.

وأعظم جالب لهما **عدم الاحتساب**.

* * *

٤

كلام من الذهب

كتب التلميذ رسالة يشرح فيها حاله وواقعه والوظيفة التي يقوم بها والدور الشرعي والاجتماعي في الفصل في القضايا والبت في الأحكام التي يحتاجها الناس في البلاد.

وقد تلا المعلم الرسالة مسروراً فرحاً بأعمال التلميذ وكأنه هو من يقوم بذلك، مما جعله يسهم في ذلك بنصيحة يهتدي بها التلميذ سلوك الصراط المستقيم وتختصر عليه الغاية في بلوغ رضى الله تبارك وتعالى ثم الوصول للصواب في الحكم بين العباد.

فكتب كلاماً هو الذهب في منجمه والفضة في مكنزه والألماس في لمعته ابتدأ فيه ببسمة شفاته وكأن القارئ يرى ظاهره وانشراح قلبه:

يا بني:

(لقد سرني ما شرحت من اعتنائك في القضايا في فهم الواقع والحال التي تقع عليها الدعاوى ثم إذا تصورتها حسب القدرة نزلتها على الواجب وهو الحكم الشرعي، فبهذي الأمور يتم القضاء.

فتمام الأول:

معرفة أحوال أهل بلدك ومعرفة الأشخاص ومراتبهم في الخير والشر، ومعرفة قرائن الأحوال المحتفة في القضية المعينة.

ولذلك سعي القاضي في البحث عن أحوال الناس والماجريات لهذا القصد من العبادات في حقه إذا كان مضطرًا إليها.

وتمام الثاني:

المعرفة التامة بالأمور الشرعية الكلية وتحقيقها وتحققها وإطباقها على القضايا، وتمام هذا معرفة الأمور الكلية في القضاء، البينة على المدعي واليمين

على من أنكر، وعند معارضات الأمور تقديم الأصول والظواهر والقرائن والمرجحات.

ثم معرفة الأحكام الشرعية حكمًا حكمًا على وجه التفصيل تحريرًا وتصويرًا واستدلالًا، فإذا جعل الإنسان همه الكلي والجزئي في ذلك واستعان الله وأخلص له العمل أعانه الله ويسر له كل عسير)

إن المسلم في عمله ووظيفته ذو ذوق وإتقان وخلق وإخلاص يتفانى فيه ولا يراقب إلا الله عز وجل فيستشعر الأجر ويحتسب الفضل ليجعل من وظيفته طريقاً لرحمة الله عز وجل وجنته، لا يعرف للكسل طريقًا ولا للتشاؤم واليأس سبيلًا، يسعى للعلو والارتقاء مجتنباً الحسد والكبرياء يعمل مستعيناً بالله متوكلاً على رب الأرض والسماء، لا يخالف شرع ربه، ولا يتعدى قانوناً منظماً للأعمال.

***

٥

هكذا الحب

للحب وقفة بين المعلم والتلميذ، وثباته بين اثنين يدل على صفاء العلاقة وصدقها، وأعظم ما يدل على ذلك هو حب الخير لمن تحب، وتَمن الثبات له والازدياد **قال رسولنا ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير»** [رواه البخاري ومسلم].

تعالوا نعيش حياة المحبة الصادقة، ونتعرف على طريقها وسبيل تحقيقها والوصول إليها.

لقد حرص المعلم على بيان سر من أسرار الحب، وذكر حقيقة بقائه ودوامه لتلميذه؛ ليحرص عليه ويستمسك به في جميع علاقاته فكتب له كلمات قليلة تهتز منها الجبال الرواسي، وتجتذب التلميذ للنظر في الأفق العالي؛ ليعيش في حب أصله في السماء وفرعه في الأرض، فأفشى هذا السر قائلاً له:

يا بني:

(فإن المحاب وتوابعها كلها تضمحل إلا ما كان فيه -في الله- وفي مرضاته، وآثار المحبة تبين النافع منها وغير النافع).

وهذه حقيقة لابد من إدراكها، وسر لابد من تحقيقه في حياتنا، ومنجم يجب إخراج جواهره، فمن كانت علاقته في الله تجذرت قوتها، وتشبعت عروقها، واخضر ورقها، فأنتجت ثمراً ليس لذوقه مثيل، وتصعدت في السماء لتُكون سحباً تُغيثُ صيباً نافعاً يحيي القلوب ويروي العقول.

وخلاصة هذا الكنز العظيم يكمن في أن ما كان لله يبقى وما كان لغيره يفنى.

❊ ❊ ❊

٦

الـقـول على الله

في ثنايا الرسالة استفسار حول مسألة هامة[١]، اعتاد أهل البلاد فعلها دون معرفة حكم الشريعة الإسلامية، علماً أن فيها إشكالاً يحتاج إلى بحث وفتوى ونظر، مما جعل التلميذ يفزع كعادته ليرسل لمعلمه رسالة يسأله عنها، ويستفصل فيها حال هذه المعاملة التي اعتاد عليها أهل البلد، مع حاجتهم لها ولمعرفة حكمها؛ بحثاً عن الحق الذي يريده الله عز وجل.

هنا ازداد تركيز المعلم أثناء قراءته للرسالة؛ ليحيط بالسؤال من كل ناحية، وليسهل عليه الوصول للجواب الصحيح الذي يريده الله عز وجل، ولأن المسألة تتعلق بفعل أهل البلد فلابد من معرفة جميع حيثيات

(١) تتعلق المسألة حول معاملة مالية لا يسع المجال ذكر تفاصيلها، انظر كتاب: (الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة) ص٥٦- ٥٧.

المعاملة؛ حتى لا يقول على الله بغير علم فيقع في كبيرة من الذنوب قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ .

وبعد التأمل والتفكير والنظر؛ كتب المعلم متوكلاً على الله مستعيناً به مبتدئاً جوابه بمقدمة ذكر فيها أصلاً مهماً يستفيد منه كل مسلم في التعامل مع آيات الله جل وعلا وكلام رسوله ﷺ.

فقال: أيها التلميذ المبارك:

(فليُعلم أولاً أن الشيء إذا ثبت تحريمه ودلت النصوص على منعه صار الواجب المتعين العمل بما دلت عليه النصوص كائناً في ذلك من الضيق ما كان، فإن الضيق الذي يتعامل فيه المتعاملون في هذه المعاملة ليس من باب الاضطرار الذي يضطر إليه الإنسان ولا بد له منه).

ابتدأ المعلم ببيان قاعدة من قواعد الدين وأساس من أساساته، حيث إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل النصوص

الشرعية للعمل بها وإن وجد المسلم ضيقاً في ذلك؛ ليعلم أنه في دار اختبار وامتحان وممر لا مقر والعاقبة للمتقين، ما لم يصل الأمر إلى الاضطرار الذي يبيح المحظور وهذا إنما يتبين بسؤال العلماء والمتخصصين، وليعلم المستفتي أن حاله هو حال المريض الذي يبحث عن الدواء المتسبب للشفاء بل هو أشد لأن الأول يبحث عن نجاة نفسه لدخول النعيم الأبدي والثاني إنما يبحث عن علاج لعضو من أعضائه في الدنيا فتأمل ذلك بحثاً عن نجاتك وفوزك.

ذكر المعلم مقدمة نفيسة جداً قبل الشروع في الجواب، تعين المستفتي على تحمل ما يجده من مشقة معتادة[1] تجاه أحكام الشريعة الإسلامية، وليعلم المسلم أن أحكام الشريعة الإسلامية قد تميزت باليسر والسهولة

---

(١) المشقة والتعب نوعان:
- معتادة كالوضوء للصلاة والذهاب للحج ونحو ذلك وهذه لا يدخلها التيسير.
- وغير معتادة؛ كالمريض مرضًا لا يرجى برؤه، والكبير بحيث لا يستطيع الصوم، فهذا النوع يدخله التيسير.

وقد انصبت فيها المصالح صباً، ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها، وإنما يحتاج المسلم إلى الصدق في معاملة ربه والصبر لزكاة نفسه والإخلاص لصفاء قلبه وسلامة جوارحه.



٧

لحظة إيجابية

جلس المعلم في مجلسه خالياً مع نفسه يخاطبها ويحاسبها حول ما توصل إليه من تطور في قراءاته وعلمه وما استجد عنده من فوائد، وما أضافه إلى المكتبة الإسلامية.

فأحب إشراك تلميذه القريب إلى قلبه فيما يخطر على باله، فكتب له رسالة خطها بيده يقول له فيها:

(لما فرغنا من النونية[١] شرعنا بمحلها بالمنتقى[٢]، ولا استجد لنا من الفوائد شيء هذه الأيام غريب، سوى أننا كتبنا رسالة في دلالة الكتاب والسنة والعقل وأقوال المؤرخين على أن يأجوج ومأجوج هم الأمم الذين

---

(١) شرح نونية ابن القيم.

(٢) يعني بذلك كتاب منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار ﷺ لأبي البركات مجد الدين الحراني.

ظهروا في هذه الأزمان من أصناف الفرنج والأمريكانيين وغيرهم وأن المسألة مسألة قطعية)

فرح التلميذ بكتابة معلمه له ما يفصح فيه عن سره ويخبره عما في جوفه وكأنه أمامه، فقرأ الرسالة بشوق وحب؛ ليستفيد مما فيها ويفيد معلمه فيما يراه مناسباً من وجهة نظره.

هكذا يكون المسلم الناجح: يجدد حياته ويطورها بالمحاسبة والنظر فيما قدم لها في الدنيا والآخرة وليحقق قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾

ولأن الحياة الحقيقية فعلًا هي حياة الدار الآخرة لذلك قال الله على لسان من ظلم نفسه،وقصر في الإعداد لذلك اليوم : ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾.

* * *

٨

ابتكـار ومعرفـة

أطلق التلميذ فكره يوماً في كتب التاريخ وحب الكتابة فيه، وتدوين ذلك في كتاب من جمعه وتأليفه.

فبادر في استشارة معلمه في هذا الأمر؛ ليعطيه من خبراته حول إيجابيات وتحديات التدوين في هذا الموضوع، ومعرفة أفضل الكتب وأحسن من كتب في التاريخ؛ ليستفيد من طريقة الكتابة والتدوين في هذا الفن الكبير فن التاريخ، فكتب للمعلم رسالة خطية تحوي مراده وتبين استفساره مستعيناً به مستشيراً له.

فقام المعلم كاتباً رسالته مبدياً إعجابه بالفكرة قائلاً له:

(هذا من أوفق ما يكون ويعدّ، هذا من الآثار النافعة المبتكرة، ولعله سبب خير لكم تُذكرون به، ويكون من

آثار عملكم، ولا يضيع الله أجر العاملين، خصوصاً مع الإخلاص لله تعالى، وقصد النصيحة لعباد الله، فعملٌ جمع هذين الأمرين لا تسأل عن بركته).

ثم قال له:

(إن أحسن الموجود من كتب التاريخ الكامل لابن الأثير، فإن حصل معين له من أخذ صورة من صور الأرض -فن الجغرافيا ومواقع الأرض والأقاليم- كان أنفع).

ثناء وتشجيع وتوجيه بديع من المعلم للتلميذ، حيث إنه قد شجعه على الابتكار والتأليف وأن ذلك من الآثار النافعة.

ثم لم يترك الرسالة من دون توجيه ونفع فحثه على ألا تخلو نيته من الإخلاص في العمل وإرادة النصيحة للناس، وأن أي عمل يجمع هذين الأمرين فإن البركة تكسوه.

***

٩

الاستشارة إنارة

وفي لحظة من لحظات التأمل وقف التلميذ على اسم ضاحية من ضواحي بلادهم، وقد اعتاد أهلها على نطقها وكتابتها بدون استعمال الوجوه الإعرابية الصحيحة فيها، فلا يميزون بين الرفع والنصب والجر.

فأشكل هذا الأمر عليه، وهل يصح نطق الكلمة بدون استعمال الأوجه الإعرابية التي تطرأ عليها، مما جعله يتجه مباشرة ليكتب لأستاذه ومعلمه يسأله في حكم اسثناء هذا الأمر من الوجوه الإعرابية المعروفة، فالعلم إنما يكون بالبحث والسؤال والرجوع إلى أهل العلم والخبرة والاختصاص.

فكتب سؤالاً خلاصته:

حكم استثناء بعض الكلمات من وجوهها الإعرابية

وهل الأوفق في كتابتها والنطق بها موافقة الناس على ما استعملوه فيها أو لابد من إرجاعها إلى حركاتها النحوية؟

فأجاب المعلم بقوله:

(فالذي أراه الأول وهو موافقته للغة الناس، وله وجه في العربية أنه يكون ذلك على وجه الحكاية، فيحكى كما يلفظ به).

❑ **فائدة:**

لم يستعجل التلميذ في الاستدراك على لغة الناس ولهجتهم؛ لذلك فزع إلى استشارة معلمه فحصل الجواب فاستفاد وأفاد.

❊ ❊ ❊

١٠

أمانـــة اللـــه

انتبه التلميذ للفظ شاع بين الناس في معاملاتهم فمنهم من يقول أمانة الله ورسوله ومنهم من يقول بالأمانة.

سأل التلميذ يوماً عن حكم استعمال لفظ الأمانة سواء كان بحرف القسم أو بإضافة كقولهم: أمانة الله ورسوله أو بدون حرف ولا إضافة؟

فأجاب المعلم التلميذ بتقسيم بديع فيه إضافة علمية للتلميذ:

(ورد حديث بالنهي عن الحلف بالأمانة «من حلف بالأمانة فليس منا»، فهذا يقتضي النهي عنها على كل حال إلا إذا أضافها إلى الله؛ فإنها تكون بمنزلة عهد الله وميثاقه.

وأما عند الإطلاق بحرف القسم أو بدونه فإنه وإن لم

يلفظ به فإنه منوي، وسقوط حرف القسم شائع في العربية كثيرًا، خصوصًا في الألفاظ التي يكثر استعمالها، فإنه منهي عنها:

إما نهي كراهة أو نهي تحريم كما هو ظاهر الحديث؛ ويعلل ذلك بأنه وسيلة إلى الحلف بغير الله حيث أطلقه إطلاقًا يحتمل الإضافة إلى الله وإلى غيره.

وأما قولهم: أمانة الله ورسوله؟

فهو كالحلف بالله ورسوله يدخل في شرك الألفاظ.

وعلى كل، فالتنزه عنها -إضافة أو إطلاقًا- هو الأولى والأليق.

وحيث كانت قسمًا بالله كان فيها الكفارة إذا حنث، وإذا كانت بالله وبالرسول أو بغير الله فهي شرك لا كفارة فيها بل فيها التوبة والاستغفار.

* * *

١١

أحسن القول

وصلت رسالة عبر البريد إلى منزل المعلم، فأخذها وفتحها فأثلجت صدره ووجد فيها ما تقر به العين ويسر به الخاطر ويزيد الفرح أفراحاً والسرور مسرات، فسارع بأخذ المحبرة والورقة ليجيب عليها ويرسل الجواب مع البريد فقال:

(في أبرك الساعات وأحسنها وصلني كتابك فتلوته إلى آخره، وأخذني من السرور والاغتباط ما الله به عليم؛ لما اشتمل عليه من الرغبة التامة في العناية بالعلم والحرص على تحصيله بكل طريق، وترتيبكم الدروس النافعة بطرفكم)

ومن شدة الفرح سال قلم المعلم ليكتب نصيحة للتلميذ تثبته على الخير الذي فيه وتعينه على بلوغ الإمامة، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

يا بني:

(وقيامكم التام بحسب قدرتكم في تقويم شرائع الإسلام بين طبقات الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قوة المعارض، وكثرة الموانع، واشتداد الحالة، ولا شك إن شاء الله أن هذا من الجهاد في الدين الذي هو مقدم على الجهاد للكفار بالسيف، فإن الدعوة إلى الدين للكفار وللمسلمين الذين لم يقيموه هو أساس الدين وقوام الصراط المستقيم، وبه يكون العبد هادياً مهدياً، وعند ربه كريماً مرضياً، وكلما ازدادت المشقة وقويت المعارضة كان أفضل وأكمل، وأرجو الله تعالى ألا يكلنا وإياكم على أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقه وأن يتولانا بلطفه وعنايته).

إن سعي المسلم ليكون من الهادين المهتدين هو أسمى غاية في الحياة، وإن حرص المسلم على هداية نفسه وغيره هو سبيل الأنبياء والصالحين وأفضل قول عند رب العالمين قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

١٢

جمع الكلمة وائتلاف القلوب

واقعة في القرية التي يسكن فيها التلميذ قد تتسبب في وقوع الناس في حرج شرعي كبير بل إنها قد تؤدي إلى بطلان عبادة بعض المسلمين حيث إن الأصل فيها الاجتماع في مكان واحد وعدم الافتراق إلى جماعات، علماً أن الناس قد اعتادوا على خلاف هذا الأصل، وفي نفس الوقت يخشى التلميذ من عدم بيان الصواب فيها أن تكون عادة خاطئة مخالفة لشريعة الإسلام(١).

لم يتعجل التلميذ بنشر ما يراه بين الناس؛ وذلك خوفاً من زعزعة المسلمين واختلافهم، مما جعله ينظر في فتاوى العلماء ويرجع إلى معلمه في ذلك.

---

(١) هذه المسألة هي صلاة الجمعة في أكثر من مسجد في نفس الوقت كل منهما قريب من الآخر.

هنا ابتدأ المعلم إجابته على السؤال بتسلسل منطقي عجيب، وذكر قواعد تعين على الجواب مما يدل على بعد نظره ودقيق فهمه وتشوفه إلى جمع القلوب وتأليفها ووحدتها وفق كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ؛ تحقيقاً لرؤية الشرع ومقصده في ذلك وعملاً بقول الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ .

يا بني:

(فالظاهر أنه ما يخلو من مشقة وحاجة إلى وقوعها في محلين؛ لبعد المسافة بين الجامعين وشدة الحر والرمضاء، والمنع ما فيه نص صريح يجب المصير إليه ولو شق الأمر بل لم يزل العمل جارياً من قديم الزمان في الأمصار وجميع الأعصار من غير اعتبار ضرورة، بل يكتفون بمطلق الحاجة وأصحابنا نصوا على جواز التعدد لحاجة كضيق وبعد وخوف فتنة وما أشبه ذلك.

والذي أرى في مسألتكم إقرار الحال على ما هي عليه، خصوصاً وللشارع تشوف عظيم إلى كل ما يجمع القلوب ويؤلف بين الناس ويوجب القالة، ولما همّ النبي

ﷺ ببناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام قال لعائشة: «لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد إبراهيم وجعلت لها بابين باباً يدخل منه الناس وباباً يخرجون منه» والحديث في الصحيح -صحيح مسلم-.

فامتنع من هذا الأمر الذي ظهرت مصلحته وموافقته للشرع؛ لأجل قالة الناس وتنفيرهم.

والفقهاء اتفقوا على هذا الأصل: وهو أنه قد يعرض للعمل المفضول من المصالح ما يصيره أفضل من الفاضل، وقد يعرض للعمل الفاضل ضد ذلك ما يكون غيره أولى منه؛ مراعاة للمصالح الشرعية ودفع المفاسد.

وأرجو الله تعالى أن تجعل هذا الأصل المبارك نصب عينيك في الأمور المتعلقة بالناس، فإن المصالح الكلية والقواعد الشرعية العامة تترك لها المصالح الجزئية، ومع النية الصالحة يدرك العبد بنيته العملين جميعاً، هذا بفعله والآخر بقصده الجازم لولا المانع)

كلام المعلم هنا يفوق الوصف في البيان ويستحق أن يخوض به مضمار السباق؛ ليفوز بعلم يرتقي بين الأنام، حيث إنه قام على اعتبار القواعد الكلية وفهم المقاصد الأساسية من التشريع الإسلامي دون غلو أو تفريط، فمن نظر إلى كلام المعلم يجد أنه انتقل بنا إلى أبنية عظيمة، فابتدأ ببيان الأساس وهو مقصد الإسلام في الائتلاف والتعاون ووحدة القلوب ثم اتجه بنا لبيان أصل من الأصول وهو أن العمل المفضول قد يكون فاضلاً بحسب ما يعرض له، ثم صار بنا إلى عمل قلبي وهو القصد والنية وما لهما من الفضل العظيم عند الله تعالى، وبذلك انتقل بنا في خريطة عظيمة يحتاجها الناس في كل عمل وذلك بالنظر في العمل والعامل والناس أجمعين، وبذلك تتحقق كلمة الإسلام ويعلو الإنسان بنفسه وبالإسلام والمسلمين.

❋ ❋ ❋

١٣

المبنى الجديد

أرسل التلميذ لمعلمه مبلغاً من مال الزكاة؛ وذلك لثقته الكبيرة به في إيصال الزكاة لمستحقيها، وبعد أن وصل المال وتم توزيعه على أهله كتب المعلم رسالة يقول فيها:

(من المعلم المحب إلى جناب الولد المكرم المحترم حفظه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن صحتكم، لازلتم بأسر الحالات وأكمل الصالحات أتم الله على الجميع نعمه)

هكذا افتتح المعلم رسالته بكل حب وود واحترام، مبتدءًا بتحية الإسلام، والدعاء له بالتوفيق وإتمام النعم، ثم قال:

(ذكرت أننا نأخذ المبلغ ونوزعه بنية الزكاة فقد فعلنا

ووزعناه على المستحقين، ربنا يتقبل منكم ويضاعف لكم الأجر، وبحول الله إنكم موفقين)

ثم صار المعلم يكتب للتلميذ ما سبق من مشروع خيري سابق قد تولاه المعلم فكتب قائلاً له:

(ذكرت لك سابقاً شغل المسجد والمشروع الذي سلكناه في نفقة عمارته، وهو مشروع ولله الحمد اشترك فيه صاحب النفقة الكثيرة واليسيرة، وباجتماع النيات من المسلمين على عمل واحد؛ يرجى أن يكون عملاً مؤسساً على التقوى، وأن يتقبل الله من ناقص الإخلاص وضعيف النية وكاملها، وأن يكون طريقاً للجميع إلى مراضيه وثوابه، والعمل الآن ولله الحمد توجه، قد صار لله الحمد على غاية المراد من اعتدال الجدران والجوانب واستكمال ما يحتاج إليه من البيوت المحيطة به قبلة وشمالاً وجنوباً، كما وسَّعنا الفناء وجعلنا نوعاً من الأبواب تدخل عليها من المسجد، وجعلنا باباً يفتح يوم الجمعة للخطيب والجنائز).

ثم زف له البشرى السارة بافتتاح المسجد بحلته

الجديدة ومباشرة إقامة الصلوات المكتوبات والجمعة فيه فقال:

(وقد جعلت أول جمعة صليناها في المكان الجديد طي كتابك، فلابد إن شاء الله وصلت)

سلك المعلم أعظم طرق الوصول إلى الله والجنة وذلك باهتمامه بأمرين جليلين: وهما الاهتمام برعاية المسجد وشؤونه وكذلك رعاية الفقراء والمساكين وتلمس حاجاتهم وفي ذلك نفع عظيم وأجر كبير، فإن المسجد صدقة جارية إلى قيام الساعة، ورعاية المحتاج نفع متعد للخلق.

وقد بين المعلم للتلميذ أن أساس العمل الخيري لابد أن يبنى على أساس متين وأصل قوي عظيم لا يهتز ولا يتفتت ألا وهو تقوى الله تبارك وتعالى وهكذا جميع الأعمال فإن الله عز جلاله قد قال في كتابه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

فالمسلم العامل ينبغي أن يكون عمله لله توحيداً وتجريداً وللنبي  متابعة وتسليماً؛ ليفوز بعمل أساسه صلب قوي يتفرع منه ثمر طيب حلو ثري بإذن الله تعالى.

* * *

١٤

عاقبة سعيدة

العلاقة الصادقة الحميمة وتعظيم المعنى الصحيح لاستشارة الكبار قبل الشروع بالعمل؛ ينتج لنا عاقبة إيجابية سعيدة، حتى لو كان الأمر فيما يغتفر فيه، خصوصاً إن صادف ذلك صدق المعلم في إسداء المشورة وبيان النافع للتلميذ.

جال فكر التلميذ يوماً في كتابة الشعر والتأليف فيه، فسال القلم دون تردد ليكتب لمعلمه مستشيراً له مستأنساً برأيه أن يكتب الشعر من بنيات أفكاره ورسم أقلامه؟

فقال المعلم ناصحاً لتلميذه؛ نصيحة يريد من خلالها علوه في مراتب الدين والانشغال بالفاضل عن المفضول وبالأهم عن المهم فكتب له:

يا بني:

(فالذي لا ينبغي كون الإنسان يتصدر لعمل الشعر، ويأخذ جزءًا كبيراً من وقته وقلبه، أما إذا عرض له أحياناً البيتان والثلاثة ونحوهما في بعض المواضيع الحسنة أو المباحة فلا محذور في ذلك، ومازال أهل العلم على هذا، والذم لا يتناول هذا).

هنا مقصد تربوي دقيق رائع في جواب المعلم، وهذا لا يتبين إلا لعارف أو دقيق الملاحظة في حسن التربية والتعليم، وهو بذلك أراد تربية التلميذ على التعلق بالأفضل والانشغال بالأهم عن المهم وملأ الفراغ فيما يعود بالنفع الأكبر، مع بيان جواز الانشغال بالمباحات من باب الترفيه والتسلية فيما يفضل من الوقت، وأيضًا بيان طريقة العلماء في ذلك وما يحبذ من سلوك طريقهم.

في هذه الرسالة يتبين لنا فطنة المعلم في معرفة حال التلميذ فإن المستشار مؤتمن والناصح يجب عليه أن يسدي النصيحة بالطريقة الصحيحة، حيث إن الشعر وكتابته إذا كان في إطار المباح فلا مانع منه ومع ذلك

أرشد تلميذه إلى التقليل منه لأنه يعلم نبوغه في العلم الشرعي والدعوة إليه ومن الأفضل أن لا ينشغل بالمفضول عن الفاضل وبالمهم عن الأهم، وبذلك يجدر بالمربي أن يتفطن لهواية التلميذ ويسعى لتوجيهها التوجيه الصحيح.

الاستشارة إضافة عقل خبير

* * *

١٥

تهـادوا تحابـوا

لم ينس التلميذ معلمه بالهدايا التي تعبر عن حبه له وتشعره بوفائه الدائم لمن علمه العلم النافع والهدي القويم الصالح، فأرسل له بعض الهدايا التي وقعت موقعها في قلب المعلم، وقد فرح بها فرحاً شديداً مما جعل قلمه يسير بالورق كاتباً:

(وقد تسلمنا مرسلكم من يد الأخ حمد (قهوة وطيب وبفت وشمغ) كثر الله خيركم وشكر سعيكم ولا عدمنا وجودكم، وصار لهن عندنا الموقع الأكبر من جهات كثيرة، لازلتم موفقين للخير)

وكان المعلم لا يستعمل هدايا التلميذ إلا في أحب المناسبات إليه، فيلبس الشماغ في العيد، ويتطيب ويطيب المصلين في صلاة التراويح في الاستراحة بين الركعات؛ وكان يقصد في ذلك إشراك التلميذ في الثواب الأخروي

عند الله تبارك وتعالى، وبذلك ينال المسلم خير المقاصد ويفوز بأطيب النوايا.

أراد التلميذ أن يدخل السرور على قلب معلمه ففكر بشراء هدية له؛ لما في الهدية وقع في القلوب وأثر في الصدور وجبر للخاطر المكسور وتثبيت للأواصر وبناء لجسور التواصل؛ وقد كان النبي ﷺ يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة.

* * *

١٦

افتتـاح المشـروع

باكورة مشروع جديد قام المعلم بالإشراف عليه مع جماعة القرية حتى نهايته، فلما شرعوا في افتتاحه سارع المعلم إلى كتابة رسالته بكل فرح وسرور ليبشر تلميذه بالافتتاح وبتفاصيل المشروع وبيان الفائدة منه.

فقال: **(يسر الله افتتاح المكتبة وأننا رتبنا فيها أحد الطلبة حافظاً وقيماً وملاحظاً ومدرساً بمعاش شهري، يدرس فن التوحيد والفقه، والتلاميذ يكونون معه جميع وقت جلوسه يعلمهم ويلاحظهم في كل ما يتعلق بدروسهم)**

فرح التلميذ بهذا الخبر واستبشر خيراً في افتتاح المكتبة؛ لما فيها من نشر العلم ودعوة الناس لطريق الخير الذي يحبه الله ويرضاه، وكتب لمعلمه يبين له شوقه للقائه وحب الاجتماع فيه والجلوس بين يديه،

وبادله المعلم نفس الإحساس والمشاعر ثم دعا له بالخير والتوفيق والسداد.

إن انتشار المكتبات وكثرة العلماء دليل على وعي أهل البلاد وتطورهم، وما زال القراء يضيفون عقولاً جديدة لعقولهم وأفكاراً إضافة لأفكارهم وكما قيل: (الكتاب عقل جديد)، وإن المرء العارف بالقراءة الواعي لما يقرأ تجده متميزاً برجاحة عقله وعذوبة لسانه وتواضع نفسه.

وما زال القارئ العارف يتلذذ في القراءة ويستمتع بها ويرى حاجته لها لرفع الجهل عن نفسه حتى يردد لسانه قائلاً: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ .

وهنا أبدع الإسلام في نشر العلم والحث على القراءة فابتدأ الوحي بقول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ وكذا أقسم الله فقال: ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ وازداد ذلك جمالاً ورونقاً بقول نبي الإسلام محمد عليه أزكى صلاة وسلام: «**من سلك**

طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» [رواه مسلم].

وهكذا يشجع الإسلام على العلم والتعلم والتميز بكافة العلوم الشرعية والإنسانية والحياتية ليكتفي المسلمون بأنفسهم بالعلم والمعرفة بما ينفع الناس في دينهم ودنياهم.

وإن الإنسان العاقل هو الذي يعرف ماذا يقرأ ويضع لنفسه الأولويات والأهم فالمهم في ذلك، فالقراءة سلاح ذو حدين منها النافع ومنها الضار الفاسد ومنها الذي لا فائدة فيه ولا ضرر، فالأول منه ما هو واجب ومنه ما هو مستحب، يؤجر عليه المسلم، والثاني محرم نهى الإسلام عنه ورتب عليه الإثم، والثالث مباح إن وجد والله عز وجل أعطانا قاعدة في ذلك فقال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ .

أيها القارئ الكريم إن أولى ما ينبغي الاهتمام به قراءة وتدبراً وعلماً وعملاً هو ما جعل الله فيه تاريخ الأولين والآخرين وحوى في داخله سبب وجود

الإنسان والغاية من خلق الدنيا وشيئاً من علم الكون والأفلاك وبيان الأحكام الشرعية وهو الدليل المرشد في بيان الخير والتحذير من الشرور لبني آدم وهو أيضا منهج النجاة عند الله في الآخرة، بل إن الله رتب على قراءته الأجر في كل حرف، فهنيئاً لمن قرأه وتدبره، ويا خسارة من أعرض عنه وتكبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾.

* * *

١٧

المكســـب الرابـح

(في أبرك الساعات وأسرها وصلني كتابك، وتلوته مسروراً بصحتكم مغتبطاً بسلامتك واستقامتك، شاكراً ما أبديته من حسن العطف وشدة الشفقة وإبداء ما في ضميرك مما لا نشك فيه، أسأله تعالى أن يوفقك في حركاتك وسكناتك وجميع أحوالك وأن يقدر الاجتماع السار بمنه وكرمه)

كتب المعلم للتلميذ سروره وفرحه بما يراه من حال الطلبة في العلم وكثرة الحلقات، يتدارسون ويراجعون ويستفيدون ويزدادون علماً وقرباً من الله عز وجل.

وقد كتب المعلم للتلميذ ما كدر خاطره؛ حيث إنه كلف أحد التلامذة المقربين لينسخ كتاباً له ليذهب به للطباعة، ولكنه تأخر في النسخ مما جعله يبحث عن ناسخ غيره؛ **لأن العجلة في الخير خير من التباطؤ فيه.**

ولم يترك المعلم لحظة يستطيع أن يفيد فيها تلميذه النجيب إلا وسعى في إيصال الفائدة إليه فيها؛ ففي يوم من الأيام كتب لتلميذه ما يوصله إلى الفوز بأعظم ربح وأعلى مكسب فكتب له فائدة تستحق أن تكون لؤلؤة من لآلئ البحار أو جوهرة من الجوهر المكنون فقال:

يا بني:

(الأمل إنك ما تذخر من الجد والاجتهاد وفي نفع من لديك خصوصاً من تظن فيه أهليته للطلب فهذا هو المكسب الرابح والربح المنمى جعلكم الله من الدعاة إلى سبيله آمين)

خير ما يترك المسلم من تركة وإرث في هذه الحياة كتاباً يقرأ أو طالب علم ينتفع الناس به أو صدقة جارية تجري الحسنات بجريانها **قال النبي** ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له» .

* * *

١٨

بريد الملك

جاء البريد بخطاب مخصوص من الملك يستدعي فيه المعلم لمجلس فيه جماعة من الوجهاء والشيوخ، وقد أشغل هذا الخطاب المعلم ورجالات القرية؛ لأن مثل هذا المجلس قد يراد منه المعاتبة أو العقاب أو غير ذلك مما كان يدور في أذهان رجالات البلدة.

حاول رجال القرية منع المعلم ولكنه أصر على الذهاب؛ لأن الواثق بالله الذي لم يخالف في أعماله لا يخاف.

وبعد ختام المجلس قام المعلم بإرسال خطاب إلى التلميذ يصور له ما حصل ويبين له حقيقة الأمر قائلاً:

يا بني:

وصلني خطاب من ملك الدولة دعاني فيه للحضور؛

وذلك بسبب كتاب قمت بطباعته وتوزيعه، فخاف جماعة البلد علي أكثر من خوفي على نفسي -وحب الناس هذا من فضل الله- وطلبوا مني أن لا أذهب أو أن آخذهم معي إلا أنني رفضت ذلك وكنت أفضل الذهاب وحدي.

فذهبت للملك وإذا بمجلس فيه جماعة من الوجهاء، ووقع في نفسي حينها أن الأمر كبير والله المستعان.

ولما دخلت عندهم إذا بعيني ترى إكراماً واسعاً وحفاوة كبيرة من الملك ومن في مجلسه، ومما كان يقوله الملك لي: إنه ما بينك وبين الناس عندنا من فضل الله أقل اختلاف، وإنه لم يعترض على كتابك أحد من الحاضرين ولا من غيرهم.

ثم عقبت على كلام الملك شاكراً له وللحاضرين، وطلبت منهم التنبيه على أي خطأ يرونه مني وإني ممنون لصغار الطلبة قبل كبارهم فيما يبدونه لي من نصائح وتوجيهات، ومن الأمور الجميلة فيما حصل أنه صادف عودتي للقرية سفر الملك إليها فرجعنا سوياً.

وإن ما جعلني أكتب لك هذا الخطاب هو خوفي عليك من أن يصلك الخبر على غير حقيقته أو أن تصل إليك الصورة بأسلوب غير واضح، فأردت أن يصل الاطمئنان إلى قلبك أن الدعوة كانت كريمة والمجلس ممتلأ بالطيبة والنخوة.

تميز المعلم في هذا المجلس بخلق التواضع مع الناس سواء الكبير منهم أو الصغير وقبوله لكل أمر يرونه سلبياً في كتاباته ومصنفاته وقد قال النبي ﷺ: **«وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»** [رواه مسلم].

كما تميز بحب الخير لتلميذه حيث سارع لنقل الخبر بصورته الصحيحة كي لا يصل بأسلوب الإشاعة الخاطئة.

ومن أعظم الأخلاق في هذا الموقف قوة المعلم وثقته الكبيرة بربه تعالى في إصراره على قبول نداء الملك؛ لعلمه أنه لم يخالف الشرع ولا النظام.

***

١٩

كنز القناعة

رأى المعلم والد التلميذ فسلم عليه ورحب به ترحيباً كبيراً، وجلس معه يسأله عن التلميذ وأحواله، ودار بينهم حواراً جميلاً ولقاءً ماتعاً، عرف من خلاله انتقال التلميذ لقرية أخرى للعمل فيها وفقاً لحاجة ذلك المكان.

وفي نهاية اللقاء كتب المعلم للتلميذ مبيناً له شوقه وحب لقائه، وقابلاً عذره في تأخير كتابة الرسائل معجباً بخطاباته وما اشتمل عليه من لطف وود وأدب، وداعياً له بأن يكون التوفيق مصاحباً له بالحركات والسكنات، وناصحاً له بالازدياد من العلم وملازمة الكتب خصوصاً ما يتعلق بعمله في الدولة؛ حيث إن ذلك أعظم عون له لسلوك جادة الصواب.

وكان التلميذ قد أرسل للمعلم بعض الكتب التي ينبغي العناية بها في نظره، ففرح المعلم بذلك وقال:

(وكل ما شرحته في كتابك صار له محل عندنا فقد تداولناها وعرضناها على الشيخ والاخوان واستحسنوها، وذلك من توفيق الله تعالى).

وكان التلميذ قد سأل المعلم حول شرائه لبيت جديد حيث إن المعلم كان يبحث عن ذلك ويطمح له؟

فأجاب المعلم أن البيوت متقلبة وقيمتها عالية جداً وأن العقار قد تعدى طوره وليس تملكه من الأمور الضرورية حتى ينجبر عليها الإنسان، وقال: **(والبيت اللي قيمته قليلة اليوم بُوَيّتْ مبروك).**

إن القناعة كنز عظيم إذا حل في قلب حلت بسببه الراحة الأبدية، وإذا اعتقد الإنسان أن رزقه مضمون عند رب العالمين وأنه لن يموت حتى يستوفي رزقه كاملاً وعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه وأن الله ﷻ قد قال في محكم تنزيله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ وقال نبينا محمد ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لن تموت نفس قبل أن تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم

استبطاء الرزق على أن تطلبوه في غير طاعة الله فما عند الله لا يؤخذ إلا بطاعته» [رواه الطبراني وصححه الألباني]، استقرت القناعة في نفسه وازداد القلب راحة واستمتاعاً.

وهنا يجدر التنبيه إلى أنه ليس المراد بذلك عدم بذل السبب والسعي للرزق؛ فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ وقال أيضاً: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾.

وخلاصة القول في هذا الشأن أن الواجب على المسلم أن يتوكل على الله ثم يبذل أسباب النجاح ويسعى لها ما استطاع مستعيناً بالله مستخيراً مستشيراً ذوي الخبرة، فإذا حال القدر بينه وبين مبتغاه حمد الله تعالى وعلم أن الخير فيما قدره رب العزة وقضته حكمته قال النبي ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»** [رواه مسلم].

وإن المسلم عبد قوي واثق متفائل متميز يسعى لخير نفسه وأهله وأمته في الدنيا متيقن أن ما عند الله خير وأبقى.

٢٠

العمـل الخيـري

اهتم المعلم بالأعمال الخيرية اهتماماً بالغاً؛ لما في ذلك من الأجر العظيم الرابح والرضى الكبير الذي يقصد من الله تبارك وتعالى، ولما يترتب عليه من الخير للأمة وسد حاجاتها المادية والمعنوية وكذا الألفة المجتمعية؛ لذلك كان يحرص على توزيع ما يدفعه له أهل الأموال، فيبحث عن الفقير ويتلمس حاجة المسكين.

وفي يوم وقد عزم جماعة المسجد على عمارته وترميمه، ولكن الأمر يحتاج إلى تمويل وجمع وجهد وتوزيع مهام وتنظيم كي يتم الأمر على أوفق حال وأحسن مآل، فما قصد لله وكان لدينه يجب أن يصل إلى حد الإحسان والإتقان.

فتنادوا للاجتماع واتفقوا فيه على أن يكون جمع المال وتولي عمارة المسجد من جهة المعلم لما عنده

من إخلاص وحسن تدبير وقبول بين الناس، فأبدى موافقته للطلب واعتبر ذلك من فضل الله وإكرامه عليه، فكتب لتلميذه يخبره بما جرى فقال:

(فوافقت لأنها من أجل الأعمال الخيرية، وأيضاً إذا كان من جهتي من كرم الله أتم لها وأدعى للمتبرعين)

وابتدأ الإعلان عن ذلك وجاء الناس يتوافدون ويتسابقون لدفع المال لعمارة المسجد؛ لما في ذلك من الأجر الدائم والصدقة الجارية، حتى جاء رجال من أهل الدثور والتجارة كل منهم يرغب تعمير المسجد كاملاً من ماله الخاص دون مشاركة أحد من الناس.

ولكن المعلم قال كلمة رائعة تكتب بماء العين وتعدل بوزنها الذهب؛ يشتري من خلالها ود الفقير في المشاركة ولا يحرم الغني من المساهمة، فارتجل في ذلك اليوم وقال:

(فلم أوافق، وإن من تمام بركة هذا العمل أنكم أيها المقتدرون تحطون المال حق البركة والذي يقصر نلقاه

عندكم، ونجعل الباب مفتوحاً لكل من أحب المشاركة في الخير ببذل قليل أو كثير، وإن النبي ﷺ قال: «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة» فمن كانت حصة إعانته للمسجد تبلغ هذا المقدار جعل له بحول الله هذا الثواب).

وكان المعلم يرغب الناس فيقول: (ترى الذي يبذل القليل أرغب لنا من الذي يبذل كثيراً يشق عليه؛ لأن المسألة من فضل الله بي راهية مع كثرة المصاريف وشدة المؤنة).

ثم كتب المعلم للتلميذ رسالة يبين له شيئاً من كرم الله في الاجتماع وعدم الفرقة فقال:

(ومن بركة العلم أيضاً: اجتماع النيات المخلصة والنفقات الصادرة عن إيمان وإخلاص وإنفاقها على موضوع في جد وعمل واحد؛ ليلحق قاصرها بكاملها وضعيف الإخلاص بتامه والله أكرم الأكرمين).

بعيداً عن أصداء الناس وإعلامهم، وبياناً للعلاقة في

الله التي تجمعهم، وتحقيقاً لقول نبي الرحمة ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»** [رواه البخاري ومسلم].

سال قلم المعلم ليسطر سراً من أسرار الحب ولوناً من ألوان الود وشكلاً من أشكال الصدق قائلاً:

(ولا منعني من برِّك في مشاركة الجماعة بأن آخذ مبلغاً من المال لتكون صدقة جارية لك إلا أني أحب أن تنويها قبل أن نأخذها؛ لأنه أتم وأكمل، جعل الله عمل الجميع خالصاً لوجهه الكريم).

❋ ❋ ❋

٢١

ميـزان العـدالـة

لم ينقطع المعلم في رسائله عن بيان ما يرتقي به التلميذ إلى الأعلى ويسلك فيه جادة القيم الموصلة للقمم، حيث كتب كلمة دقيقة في الفهم عالية في الهمة قد يقع فيها الإنسان من حيث لا يدري ولا يشعر، خصوصاً مع كثرة الاحتكاك والمساس مع كبار الناس ووجهائهم.

يا بني:

(إن جلوس الرفيع والوضيع بين يدي القاضي، إذا كانا مسلمين وجب المساواة بينهما كما يساوي بينهما في الحكم بالعدل وعدم الميل إلى أحدهما بقلبه أو لفظه أو حكمه، ومتى فعل القاضي ذلك كان عنواناً على عدله، ومن فعل الأمر الشرعي وسلك العدل رضي عنه الخصمان، ولو كان أحدهما شريفاً وساوى بينه وبين خصمه الوضيع، فإنه يعلم

أن هذه الحالة منسوبة إلى وجوب العدل، وأن لا لوم على القاضي بها، بل الذي معه أدنى عقل يمدحه بها، ويتمكن القاضي من إنزال الشريف منزلته وأخذ خاطره في غير مجلس حكمه إذا انقطعت خصومته ولكل مقام مقال والله الموفق)

أمر الله عز وجل بالعدل فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ وحرم الظلم وابتدأ بنفسه فقال في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**» [رواه مسلم].

وإن العدل سيد الأخلاق وخير وصايا الله للعباد سواء كان في القول أو الفعل مع نفسك أو في تعاملك مع الخلق.

وقد أمر الله به حتى مع الأعداء فقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ وقال: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾

* * *

٢٢

صدق الإخاء

لا تفارق المعلم ذكرى ما مضى من أيام، وما سلف من لقاءات ماتعة في العلم والتعليم، وما كان من حسن الجوار، فلم يفتر لحظة عن بيان مشاعره وأحاسيسه الصادقة تجاه تلميذه، فإنه ما بين شوق وأمل ودعاء بالتيسير والتوفيق الدائم حتى صار ذلك ملازماً في رسائله يتذوقه كل قارئ لكتاباته.

يا ولدي:

(نتأمل هذا العام حسب تأميلكم أن يحصل لكم فسحة، ربنا يقر العين بالاجتماع بكم)

يا ولدي:

(نؤمل هذا العام أن يصير لكم زيارة إلينا، يسر الله ذلك وأقر العين بالاجتماع بكم بمنه وكرمه)

يا ولدي:

(الإخوان على ترتيب قراياتهم مستمرين، لا نشاط يذكر ولا كسل كثير، وعلى كل فإن الإنسان إذا تسمى بطلب العلم استمر على ترتيبه ولو حصل منه فتور أو حصل له عذر وقصور، فمن سار على الدرب وصل)

الذكريات الدائمة والذكر الجميل المتواصل دليل صدق الإخاء والوفاء فالمحب لا ينسى الجميل والذكر الحسن لمن يحب.

لم يترك المعلم أي رسالة إلا وفيها من التربية والعلم والفائدة للتلميذ والقارئ ومن ذلك ما ذكره بقوله: (فمن سار على الدرب وصل) كلمة لها قيمة تربوية عالية تبعث الأمل وتنجي المسلم من الكسل وتدفع العاجز عن العمل وقليل دائم خير من كثير منقطع.

* * *

٢٣

أدب الحوار

صنف المعلم كتاباً يناقش فيه قضية شرعية، يفصل القول فيها تفصيلاً مؤصلاً، مستعيناً بالله مستدلاً بكتابه وسنة نبيه ﷺ، ذاكراً فيه كلام من سبقه من العلماء.

وإذ به يتفاجأ بردة فعل غريبة وغير متوقعة من رجل ينكر عليه إنكاراً شديداً وبلهجة غير معتادة خلت من أدب الحوار والنصيحة التي تليق بطالب علم يحب الخير للناس عموماً وللمسلمين خصوصاً.

فأرسل المعلم ما حصل من ذلك الرجل لتلميذه وشرح له تفصيل ما حصل، ولفت انتباه التلميذ لآداب مهمة ينبغي أن يتحلى بها الطالب مع غيره من الناس فقال:

(فرددت كلامه بلطف وأحلته إلى كتب العلماء، ولم

أناقشه في شدته ولا حاسبته على ألفاظه غير اللائقة؛ لأني ظهر لي أن البحث والتمادي معه ما له ثمرة ولا نتيجة)

وللأسف جاء رد آخر من ذلك الرجل فيه قسوة أشد من الرد الأول، مما زاد عجب المعلم كيف يصدر ذلك ممن ينتسب للعلم دون معرفة المردود عليه أو لقائه، ولكن المعلم عامله بحكمة لم ينتصر فيها لنفسه فقال:

(ما أحببت أن أتمادى معه في البحث الطويل؛ لأن الظاهر أنه إن شاء الله لا يقصد في رده هذا الهوى ولعله يريد النصيحة؛ لأني ما أعرفه ولا يعرفني، ولا جرى بيني وبينه قبل هذا أدنى مكاتبة، وإنما حمله على ذلك أنه انعقد في فكره الذي يراه، ولم يعرف كيف الطريق إلى إنكار ما اعتقده منكراً، فجاء بهذه الطريقة التي ليس لها مقدمة، ولا جرى من صاحبه عناد يوجب له ما أوجب، نرجو الله يوفق الجميع لكل خير)

اشتملت هذه القطعة الرائعة على قواعد غير مباشرة في توعية التلميذ والقارئ في التعرف على آداب الحوار وعدم الخوض في النوايا والمقاصد، والحكمة في

الجواب وإنصاف المخالف، ومن ذلك أن يكون المسلم عليماً حليماً رؤوفاً رحيماً قال ربنا ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

وقال النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» [رواه البخاري ومسلم].

فالمسلم ينبغي عليه أن يتعلم آداب النصيحة قبل العمل بها، وأن يتأدب بأدب الحوار ويعرف قيمته وقواعده قبل أن يحاور، فكما أنه يجب عليه تعلم العبادة قبل أن يتقرب إلى الله بها، كذلك ينبغي عليه في النصيحة.

- **ومن أهم الآداب التي يجب العناية بها:**

١- الإخلاص لله تبارك وتعالى.

٢- أن يكون مرادك الحق والوصول إلى الصواب.

٣- احترام الطرف الآخر ونقد رأيه دون الجرح بشخصه.

٤- الدعاء للمحاور بالهداية والسداد.

٥- إن الاختلاف لا يفسد الود ولا يعني عدم التعامل بالحسنى.

٦- حسن الإنصات واختيار أحسن الألفاظ في الطرح.

٧- إعمال القاعدة المشهورة: رأيي خطأ يحتمل الصواب ورأي غيري صواب يحتمل الخطأ ما لم يكن في أصل من أصول الدين أو أمر مجمع عليه عند علماء الأمة.

٨- إنصاف المخالف والعدل معه في الحوار.

❋ ❋ ❋

٢٤

لحظـة تاريخية

أين ذهب بنو إسرائيل مع سيدنا موسى عليه السلام بعد أن خاضوا البحر وغرق فرعون وجنوده؟

سؤال أشكل على التلميذ جوابه فكتب رسالته لمعلمه سائلاً عن هذا الإشكال مريداً للجواب.

فقال المعلم له:

(والذي أرى أن القول الأظهر فيها أنهم ساروا إلى بيت المقدس التي كتبها الله لهم، وأما ما حصل من أحداث كميعاد الله لسيدنا موسى عليه السلام وما حصل لهم من عقاب الله لهم بالتيه، كل ذلك كان في أثناء طريقهم إلى مكان إقامتهم في بيت المقدس، ولم أجد نصاً صريحاً يذكر رجوعهم لمصر والله أعلم)

(واعلم أن تاريخ بني إسرائيل غير معلوم ترتيبه لهذه

الأمة، ولهذا لا نعلم من أين ذهب موسى عليه السلام لطلب لقاء الخضر، هل هو من مصر أو من الطريق منها إلى الشام؟).

إن الحرص على تاريخ الأمم والحضارات فيه عدد من الفوائد والثمرات وإن أهم ما ينبغي أن يعتنى به في قراءة السير:

الاستفادة مما وقع لهم والاعتبار من أحوالهم، وأولى ما يهتم به المسلم في قراءة التاريخ الحرص على سيرة الدولة الإسلامية الأولى في العهد النبوي ومعرفة نشأتها وتكوينها على يد القائد الأول للمسلمين محمد بن عبدالله ﷺ ثم تدبر سيرة الخلفاء الراشدين والصحابة المهديين والاقتداء بهم والسير على منهاجهم وبذلك يجد المسلم الفلاح في الدنيا والآخرة وينال توفيق الرب وسداده فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وهنا ملحوظة مهمة فيما ذكره الشيخ بقوله (واعلم أن تاريخ بني إسرائيل غير معلوم ترتيبه لهذه الأمة) وذلك

لحكم عديدة منها: أن المقصود من ذكر سير الأولين هو الاستفادة العلمية والعملية لمن بعدهم، أما ما ليس له فائدة فإن ذكره قد يكون من العبث والله أعلم.

* * *

٢٥

كيف حال إخواني ؟

لم ينس التلميذ إخوانه وزملاءه، فهو دائم السؤال عنهم وعن برامجهم العلمية والدعوية؛ وذلك لما يحمل من صدق المشاعر تجاه أقرانه وأصحابه وسخاء أخلاقه.

هكذا تعلم وربى نفسه فلا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

(الإخوة على ترتيبهم السابق، الاستمرار حاصل والتجرد المطلوب ممن لا عذر لهم مفقود، ونرجو الله للجميع أن يسلك بنا وبكم أقرب الطرق الموصلة إلى ما يحبه ويرضاه، وأن ينمي إرادة الخير ويبارك في العمل)

وبما أن الشيء بالشيء يذكر، فإن المعلم قد تطرق لمعوقات البعد عن تسلق الجبال العوالي والاستمرار في الجدية وطلب المعالي، فكتب ما يذكر به التلميذ ويدله

على اجتناب ما يعوقه في طلب العلم فقال:

(ومن الأسباب المعوقة عن الإقبال بالكلية على العلم من بعض المحصلين اشتغال كثير منهم بالأسباب الدنيوية؛ لأنها تأخذ جمهور وقت الإنسان ولهذا نفرح منهم ونغتنم الاستمرار والتشمير ولو على وجه ضعيف ومع ذلك فإننا إذا رأينا اشتغالهم الدنيوي في الوطن هان الأمر على الاشتغال بأوطان أخر تمنع الاشتغال بالعلم بالكلية؛ لأن الذي ينبغي المجاراة حسب الأصول وتشجيع كل أحد بحسبه وتيسير الأمور)

إن أعظم الواجبات على المسلم بعد العلم والعمل أن يسعى لتعليم الناس ونشر الخير بينهم وبث ما يوصلهم إلى الجنة ويقربهم إلى الله، وإن خير تركة يتركها المسلم ما أعانت على بلوغ رضى الله والجنة وخير إرث يكون بعد الموت هو الإرث العلمي الذي هو ميراث النبوة قال النبي ﷺ: **«إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورَّثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو**

صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته» رواه ابن ماجه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

ولذلك حث المعلم التلميذ على نشر ما عنده من العلم؛ ليعم الخير في البلاد وبين العباد فقال في رسالته:

(ولهذا في هذه الأوقات يتعين على كل من عنده علم أن ينشره بحسب قدرته، ويلقيه على الناس على اختلاف طبقاتهم من طلبة وعوام وخواص على قدر ما تسنح الفرصة، فلو جرى أهل العلم هذا المجرى لحصل خير كثير فما لا يدرك كله لا يترك كله)

ثم ختم المعلم وصيته هذه بالحذر من تثبيط الشيطان الرجيم والاستماع لوسوسته واتباع خطواته في ترك دعوة الناس لمراد الله ﷻ فخطت أنامله قائلاً:

(ولا ينبغي لهم أن يملكهم اليأس ويعتذروا بكسل

الناس، وليقتدوا بمعلم الخير وإمام الخلق صلوات الله وسلامه عليه، فإنه ما زال يدعو الخلق في جميع الأوقات، ويكرر الدعوة مع إعراض المدعوين ومعارضتهم، ويدعو إلى سبيل ربه بالتي هي أحسن، ولا يمل ولا يسأم من الدعوة والتعليم، سواء وافق إقبالاً من الناس ونجاحاً أو صادف نفوراً وإعراضاً، هذا حاله مع الأعداء المكذبين، فكيف لا يكون مع أهل العلم هكذا مع إخوانهم المسلمين، يساعدون مقبلهم ويذكرون غافلهم ويهدون جاهلهم ويعرضون الخير على معرضهم ويعلمون أنه في الإمكان الجمع بين الدين والدنيا، فإن الشارع مبعوث بصلاح الأمرين، بل كل منهما مفتقر إلى الآخر، الدين والعلم وتوابع ذلك هو المقصود والدنيا ومقاصدها ترتب على الوصل بينهما مصالح عظيمة، وكم فات بالفصل بينهما، ومعاداة أحدهما للآخر مضار كثيرة، فنسأل الله تعالى أن يمن علينا وعليكم بالعلم النافع والعمل الصالح آمين)

امتلأت رسالة المعلم إيجابيات وتحفيزات نافعة،

ومن ذلك أن المطلوب في العبادات عموماً وفي العلم خصوصاً الاستمرار والدوام وإن كان الجهد قليلاً ويسيراً فإن خير العمل ما كان دواماً وإن قل.

ومن ذلك أيضاً أن الإنسان إذا أراد التميز في تخصص ما سواء كان ذلك في العلم الشرعي أو الدنيوي لزمه **اجتناب مشغلات القلب وملهيات العقل ومعوقات الصحبة النافعة**؛ لذلك تجد الناجحين في حياتهم لابد لهم من فترة قد انشغلوا بتخصصاتهم لفترة من الزمن حصلوا فيها أصول ذلك العلم.

ثم حث على **التفاؤل وعدم اليأس** مهما كانت النتيجة، فالمسلم المتصف بالإيمان دائم النظرة الإيجابية التفاؤلية التي ترى الحياة كما يحب الله تعالى ويعلم كل العلم أن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له؛ لأن الأصل عنده احتساب الأجر والرضا بقضاء الله وقدره.

ثم ختم ذلك كله بأمر عظيم جداً قد لا يلتفت إليه بعض المسلمين وهو **فضيلة الجمع بين الدين والدنيا** وعدم

الفصل بينهما فإن الذي أمر بالدين هو الذي خلق الدنيا وسخر ما فيها للإنسان وجعل ما حرم فيها اختباراً للأنام لينظر الشاكر فيها والفاسق والكافر، فالواجب على الإنسان أن يعيش هذه الحياة وأن يحرص على إعمار الدنيا مع اعتبار الضوابط الشرعية التي أمره الله بها، لأن الله يريد للمسلمين التميز في جميع العلوم النافعة وأن يكون المسلم منتِجاً شجاعاً قوياً لا يحتاج لغيره إنما يحتاجه غيره، مختلطاً بالناس صابراً عليهم مهتماً بأمور الخلق نافعاً لهم قال النبي ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير**» [رواه مسلم]، وقال: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس**».

فإن الإسلام لا يريد منا الانعزال والانقطاع عن الحياة كما لا يريد لنا الانشغال بها عن ديننا، إنما المقصود بالعزلة الشرعية هي التي ينبني عليها الاعتزال عن الشر والفساد والذنوب فالمهاجر من هجر ما نهى الله عنه.

وإن العاقل من جعل هذه الحياة وسيلة ينتفع بها

ويحتسبها ويؤجر عليها فتكون حياته كلها عبادة لله تعالى، فينوي الخير في وظيفته وتجارته فيفوز برضى الله والجنة قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» [رواه البخاري ومسلم].



٢٦

بشـــارات

أرسل التلميذ رسالة للمعلم يخبره بفرحه الشديد؛ وذلك لما تيسر له من الانتقال إلى ضاحية جديدة قريبة من بلد المعلم مما يَسهل التواصل واللقاء بينهما.

كما بشره ببشارة عظيمة وهي قيامه بافتتاح عدد من الحلقات والدروس العلمية، ففرح المعلم بهذا الخبر السار وبادله نفس الشعور والإحساس فرد عليه برسالة كتب فيها:

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن صحتكم وصحتنا ولا زال الخاطر عندكم، ونرجو الله تعالى أن تكون العاقبة الحميدة لكم، وأن يكون من النواصي المباركات، وأن يمن عليكم بالإعانة والتوفيق والتسديد، وهذا من التيسير في هذا المحل قريب التناول والمواصلة لو لم يكن فيه إلا هذه الحالة لكفى، ولابد بعد

استقرارك تفيدني عن راحتك ومواصلة العمل وربما سهولته، ربنا لا يكلنا وإياكم إلا على وجهه الكريم)

ثم كتب له:

(إن أكثر ما سرني هو ترتيبكم للدروس حسب ما شرحت لي لكونك ملاحظاً لكثرة المطالعة والمباحثة وربما كان محلكم الجديد أفرغ لكم وأقل شغلاً من غيره، كما أعجبني فيك خصلة جيدة وهي اتصالك بالمشايخ وحرصك على الاتفاق معهم وذلك لا شك فيه من الفوائد والثمرات ما لا يخفى، فأرجو الله لك التوفيق)

وقد بادل المعلم تلميذه البشارات التي قدمها فأخبره أن جماعة البلد قاموا بزيارة المسؤولين وطلبوا منهم الموافقة على افتتاح مدرسة جديدة وتم اختيار بقعة لها بحمد الله تبارك وتعالى.

(في هذه الأيام حررنا كتاباً لأحد المسؤولين نترجى منه أنه يسعى بجعل الدروس الرسمية فيها قليلة؛ ليتمكن

التلميذ من التحصيل، وأنها ما دامت على هذا الموضوع ومطالبة التلميذ بما فيها من الدروس المتنوعة لا يؤمل النجاح، وإن الأولى أن يقتصر فيها على فن القرآن والكتابة والتوحيد والفقه والعربية، وأما باقي الفنون إما أن تلغى أو لا تكون إلزامية ولا مزاحمة لغيرها، وقلنا له هذه الحال إذا عملتها في المدارس يرونها من أعمالكم المشكورة، وبحمد الله جانا الجواب من المسؤول يعدنا بالموافقة ويقول إن هذا هو عين الصواب).

ويظهر للمتأمل في هذه الرسالة كلمات منيرات تنشر لنا ثقافة النصيحة المبنية على القواعد الشرعية والفطرة السوية المتمثلة بالإخلاص لله وقصد وجهه الكريم والحرص على الاتصال بالمنصوح وأدب النصيحة دون طيش وفساد وإفساد؛ فإن الصادق الأمين ﷺ قد قال: **«الدين النصيحة» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»** [رواه البخاري ومسلم].

● **تنبيه:**

حصر الفنون المذكورة في الرسالة لا يعني حصرها في جميع البلدان والأزمان فلكل زمن ما يحتاجه من العلوم والفنون الدراسية، ولكن التركيز على ما ذكره المعلم في رسالته من مقررات دراسية يجب أن يكون في كل زمان ومكان ولو كثرت العلوم المهمة؛ لأنها علوم تبني هوية المسلم وتعينه على فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن البشارات ما ذكره المعلم للتلميذ أنه صنف كتاباً جديداً مفيداً مكوناً من ثمانين صحيفة ووعد بإهدائه نسخة قائلاً له: **(ولابد عند طباعته أن يصلك الإهداء من قبلنا)**.

وهنا فائدة عظيمة جداً وهي فرح المعلم والتلميذ بوجود الكتب العلمية والشرعية وطباعتها؛ لتعم الفائدة وينتشر العلم في المجتمع المسلم، ولا شك أن هذا من الفرح الممدوح عند الله تبارك وتعالى؛ لأن زيادة العلم الشرعي زيادة في الطاعة وزيادة نفع متعد تنتفع به البشرية.

وأما الفرح المذموم الذي يستحق الإنسان عليه الإثم

هو الفرح بالمعاصي وانتشارها، ومن ذلك أن يفرح الإنسان بطباعة الكتب المعادية للإسلام أو المنشورات التي تحمل في طياتها الذنوب التي حرم الله ارتكابها فيعيث الفساد في الأرض بسببها.



٢٧

أكبر نصيحة وأفضل حكمة

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن صحتكم أرجو الله لكم العافية والتوفيق والإعانة، صحتنا مع العائلة والوالد والاخوان تسرك ولا زال الخاطر عندكم، تأخر كتابنا لكم حتى وردنا كتابكم المفيد صحتكم وتهنئتكم بالعام الجديد، جدد الله علينا وعليكم النعم ودفع عنا وعنكم النقم.

مطلوبك نصيحة نقتبسها من الحكم أوقات المناسبات، فأكبر النصائح التي كررها الباري علينا الجد والاجتهاد في تحقيق الإخلاص في أمورنا الكلية والجزئية:

أما الكلية فأن يطلع الله على قلب العبد، وليس في حشوه سوى قصد مرضاة الله وطلب ثوابه وأن تكون على الدوام مريداً لطاعته وطاعة رسوله ﷺ ونفع عباده، ثم

بعد هذا تحقق هذا الأصل العظيم في جزئيات أعمالك وفي كل قول من أقوالك وفعل من أفعالك، وأن تجتهد في دفع كل ما يعارض هذا الأصل الذي هو أنفع الأصول وأصلحها للقلب وأعظمها فوائد ونتائج.

ومع اجتهادك فيه تلجأ إلى الله تعالى في إعانتك عليه وتيسيره، فنسأله تعالى أن لا يكلنا وإياكم إلى أنفسنا طرفة عين إنه جواد كريم).

لم يبخل المعلم أبداً عن نصيحة تلميذه وإجابته فيما يريد، بل اجتهد في اختيار أفضل نصيحة ينتفع بها في الدنيا والآخرة وهي توحيد الله وإخلاص الأعمال له والاجتهاد في طلب ذلك والاستقامة على منهج مستقيم هدفه وغايته نيل رضا المعبود سبحانه وتعالى، وبذلك يكون المسلم عابداً لله وحده تاركاً ما يضاده من الشرك قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»** [رواه مسلم].

وبهذا يكون العبد قد حقق شهادة أن لا إله إلا الله

بقلبه ولسانه وجوارحه، وهذا هو الأصل الأول الذي ينبغي الاهتمام به.

ثم نبه في نصيحته على الأصل الثاني وهو طاعة رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ وحذر الله من ارتكاب ما يضاد هذا الأصل فقال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ وبذلك يكون المسلم قد حقق شهادة أن محمداً رسول الله.

ويتبين لك أيها القارئ الكريم أن قبول الأعمال متوقف على هذين الأصلين:

الأول: الإخلاص لله وحده في العمل.

الثاني: متابعة النبي ﷺ.

مخالفة الأول: شرك لا يقبل العمل معه.

ومخالفة الثاني: بدعة يَرُد الله العمل بسببها.

ثم أشار المعلم على أصل ثالث مفيد نافع وهو نفع الخلق ودعوتهم وتعليمهم مراد الله في العبادات والعادات وجميع الأحكام.

وبكل ما سبق من أصول يحقق المسلم مراد الله وينجوا من الخسارة إلى الفلاح محققاً ما أنزل الله في سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾

بالعلم والعمل والدعوة والصبر يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور ومن التعاسة إلى السرور ومن الضيق إلى انشراح الصدور ثم إلى جنة عدن فيها ملائكة وحور.

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾

* * *

٢٨

سيــرة عالميــن

اشتملت بدايات الرسائل على روعة الكلام وصدق الوئام من معلم جليل تجاه متعلم نجيب، أحببت سردها بزاوية خاصة من الرواية يستفيد منها القارئ للحكاية في مراسلاته وكتاباته وتعبيراته.

تنقلت بين دعوات ومباركات وسؤال عن الحال وسلام، وكلمات تحمل شفافية في العلاقة وأخلاقًا عالية تدل على الأصالة.

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن صحتكم أسأل الله أن يتم عليكم نعمه).

(في أبرك وقت وأسره وصلني كتابك وقبله برقية التهنئة بعيد النحر أعادكم الله لأمثاله أعواماً عديدة متمتعين فيها بنعم الله الظاهرة والباطنة؛ وقد سرتني

صحتك ومع ذلك فلا يزال في الخاطر شيء من جهة الأثر الذي معك وإن كان أنك طمنت الخاطر بعض التطمين، فأرجو الله أن يلبسك ملابس العافية، وأفدت أن الأثر الذي شمل كثيراً من أهل البلاد وأنه لله الحمد ما حصل منه وفيات وأنه لله الحمد بسيط هذا من نعمة الله أنه يبتلي ويثيب ويجمع للعبد بين الأجر والعافية، وسريتني باستمرار القراءة)

(في أبرك الساعات وصلني كتابك وكان الخاطر مشتغلاً لما بلغني أنهم سينقلونك إلى محل بعيد ولكن كتابك فهمت منه البشرى أن الأمور إن شاء الله ستكون على المطلوب، والمسؤول مواعدكم أن يسعى لكل ما فيه راحة لك جزاه الله أفضل الجزاء)

(من المحب إلى جناب الولد الشفيق المكرم حفظه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن صحتكم أرجو الله أن يتم عليكم إحسانه ويوالي عليكم فضله، في أبرك وقت وأسره وصلني كتابك تلوته مسروراً

بصحتك وأحسنت الإفادة بوصول الخط والإفادة بشرح حالكم في وظيفتكم نرجو الله أن يسددك في حركاتك وسكناتك، وسررنا أن العمل ما فيه كبير مشقة ولو كان العمل كثيراً، هذا من لطف الله).

كانت هذه رسائل خطية كشفت لنا صحبة ربانية، وحكت لنا علاقة هي أعمق من بئر في البرية، كانت أشد من الحديد وأرق من الحرير، تثبت للبشرية عمق المحبة ودرجة من درجات الخلة الصادقة التي تعلقت بحبل من الله متين، حيث لا تنقطع ولا تبلى مهما طال البعد وشحت وسائل الوصل، عشنا معها لحظات نيرات وهمسات فاضلات وأسرار لم يطلع عليها أحد، تعلمنا منها تطبيقاً عملياً لحديث رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»** [رواه البخاري ومسلم].

هذا ما حصل بين المعلم والتلميذ وكيف استعمل المعلم الرسائل الخطية والبريد في صناعة إنسان وتربيته على المنهج الإسلامي الصحيح.

صناعة إنسان

عنوان حمل في طياته زبدة العلاقة بين العالمين الجليلين والإمامين الحنبليين فضيلة الشيخ: **عبدالرحمن بن ناصر السعدي** وتلميذه المبارك فضيلة الشيخ: **عبدالله بن عبدالعزيز العقيل** رحمهما الله تعالى اللذين كانا أبطال هذه الرواية الحقيقية فكانا خير مثال جمع بين العلم والعمل والخلق الحسن والتعامل بالحب والود والوفاء والصدق والأدب المحمدي الجم.

تعال أيها القارئ الكريم نطوف معاً حول سيرة هذين العالمين، نتعرف على تاريخهما وجزءاً من حياتهما، فمن كانت حياته مشرقة فإن بدايته لا شك محرقة، وما كان الثمر الطيب إلا بحرث كان طيباً.

❑ **فأما الشيخ المعلم رَحِمَهُ اللَّهُ فهو:**

عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي من نواصر من بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم.

● مولده:

ولد في مدينة عنيزة في الثاني عشر من شهر الله المحرم سنة ١٣٠٧ هـ.

● حياته:

عاش عبدالرحمن السعدي يتيم الأبوين، وقد توفى الله أمه وهو في الثالثة من عمره ثم توفي والده وهو صغير فعطفت عليه زوجة والده، وأحبته أكثر من حبها لأولادها، فكان عندها موضع العناية؛ فلما شبَّ صار في بيت أخيه الأكبر حمد، واعتنى به عناية فائقة، وكان يجله، ويناديه باسم الشيخ، وكان الشيخ عبدالرحمن يخاطب أخاه باسم الوالد، ويقول له باللهجة العامية: (يبه).

وقد أقر الله عين حمد بأخيه الشيخ عبدالرحمن؛ حيث رأى أخاه والأنظار ترنو إليه بعين الإجلال، والإكبار؛ لعلمه، وفضله، ومكانته، وقد امتد العمر بـ: حمد؛ فتجاوز المائة، وعاش بعد أخيه الشيخ عبدالرحمن اثنتي عشرة سنة؛ حيث توفي سنة ١٣٨٨هـ، وهو يكبر

الشيخ بما يزيد على عشرين سنة تقريباً.

فنشأ نشأة صالحة كريمة، وعرف من حداثته بالصلاح والتقى، ويروى عنه أنه قد خرج إلى صلاة الفجر صباح سطوة آل سليم وله من العمر خمس عشرة سنة والقصر فيه الرماة والناس كلهم متحصنون في منازلهم خوفاً على أنفسهم فقابله بعض الناس فقالوا إلى أين تريد؟ فقال لصلاة الفجر فضربوه حتى ألجأوه إلى الرجوع إلى منزله .

وأقبل على العلم بجد ونشاط وهمة وعزيمة فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب قبل أن يتجاوز الثانية عشرة من عمره، واشتغل بالعلم على علماء بلده والبلاد المجاورة لها ومن يَرد إلى بلده من العلماء، وانقطع للعلم وجعل كل أوقاته مشغولة في تحصيله حفظاً وفهماً ودراسة ومراجعة واستذكاراً حتى أدرك في صباه ما لا يدركه غيره في زمن طويل.

ولما رأى زملاؤه في الدراسة تفوقه عليهم ونبوغه تتلمذوا عليه وصاروا يأخذون عنه العلم وهو في سن البلوغ، فصار في هذا الشباب المبكر متعلماً ومعلماً،

وما إن تقدمت به الدراسة شوطاً حتى تفتحت أمامه آفاق العلم فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الذي فتقت ذهنه ووسعت مداركه فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد المقيد فصار يرجح من الأقوال ما رجحه الدليل وصدقه التعليل.

ثم كاتب علماء الأمصار ومفكري الآفاق في جديد المسائل وعويصات الأمور حتى صار لديه جرأة وجسارة على محاولة تطبيق بعض النصوص الكريمة على بعض مخترعات هذا العصر وحوادثه، فهذه همته وعزيمته في تحصيل العلم.

أما بذله العلم ونشره إياه فإنه صرف أوقاته كلها للتعليم والإفادة والتوجيه والإرشاد فلا يصرفه عن حلق الذكر ومجالس الدرس صارف، ولا يرده عنها راد، إلا ما يتخلله من الفترات الضرورية، فاجتمع إليه الطلبة وأقبلوا عليه واستفادوا منه، كما قدم عليه الطلاب من

البلاد المجاورة لبلده لما اشتهر به من سعة العلم وحسن الإفادة وكريم الخلق ولطف العشرة.

كما وردت إليه الأسئلة العديدة فأجاب عليها بالأجوبة السديدة وكان حاضر الجواب سريع الكتابة بديع التحرير سديد البحث.

فلما بلغ أشده ونضج علمه ورسخت قدمه شرع في التأليف ففسر القرآن الكريم وبين أصول التفسير وشرح جوامع الكلام النبوي ووضح أنواع التوحيد وأقسامه وهذب مسائل الفقه وجمع أشتاتها ورد على الملاحدة والزنادقة والمخالفين وبين محاسن الإسلام كل ذلك في كتب ورسائل طبعت ووزعت ونفع الله بها.

والقصد أنه صار مرجع بلاده وعمدتهم في جميع أحوالهم وشئونهم فهو مدرس الطلاب، وواعظ العامة وإمام الجامع وخطيبه، ومفتي البلاد وكاتب الوثائق وحرر الأوقاف والوصايا وعاقد الأنكحة ومستشارهم في كل ما يلمهم.

وكان لا ينقطع عن زيارتهم في بيوتهم ومشاركتهم في مجتمعاتهم ومع هذا بارك الله في أوقاته فقام بهذه الأشياء كلها ولم تصرفه عن التأليف والمراجعة والبحث فأعطى كل ذي حق حقه.

● وفاته:

توفي الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في سنة ١٣٧٦هـ بعد أن أصيب بمرض ضغط الدم وتصلب الشرايين، فنسأل الله له الرحمة والغفران.

❑ وأما تلميذه النجيب المبارك فهو:

عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل بن عبدالله بن عبدالكريم بن عقيل آل عقيل الحنبلي رحمه الله، ونسبه يعود لآل عقيل الأشراف.

● مولده:

ولد في عنيزة سنة ١٣٣٥ هـ.

● حياته:

نشأ في كنف والده الشيخ عبد العزيز، وبدأ بالقراءة

والكتابة عليه في بيته وفي دكانه، وبعد ذلك دخل الكُتّاب عند الشيخ عبد العزيز بن محمَّد بن سليمان آل دامغ.

ولما بلغ سنّ التمييز صار يحضر مع والده جلسات المشايخ، ويذهب معه لحضور بعض الدروس لدى الشيخ عبد الرحمن السعدي، وذلك سنة ١٣٤٨ تقريبا.

التحق بالمدرسة الأهلية النّموذجية التي افتتحها الشيخ صالح بن ناصر آل صالح مع الفوج الأول، ودرس فيها مدة، ثُمّ التحق بمدرسة الشيخ عبد الله القرعاوي التي افتتحها سنة ١٣٤٨هـ.

أخذ الشيخ عبدالله بن عقيل العلم عن كبار العلماء الراسخين فيه، وكان من أبرزهم:

العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي وكان ذلك لفترات متعددة، وكانت بداية الطلب عليه سنة ١٣٤٨هـ، وكان مجموع السنوات التي درس فيها على الشيخ ١٢ سنة.

وكذلك أخذ عن العلامة المحدث عبد الله القرعاوي، والعلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ

والعلامة المحدث علي بن ناصر أبو وادي والعلامة المحدث عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي العمري والعلامة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مانع وغيرهم من العلماء الكبار.

● **وفاته**(١):

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اليوم الثامن من شوال لسنة ١٤٣٢هـ، فرحمه الله رحمة واسعة.

ليت الكلام لم ينتهِ ولكن . هي الدنيا وكل شيء فاني

أرجو الإله بمنه وعطائه حشر مع الإخواني والخلاني

في منبر من نور نأمل فضله من ربنا المنان ذي الإنعامِ

❊ ❊ ❊

---

(١) استعنت بترجمة الشيخين من عدد من المواقع على الشبكة العنكبوتية وغيرها بتصرف يسير.

٢٩

لكل بداية نهاية

هكذا الحياة رسائل نتلقاها ووقتاً ممتعاً نستفيد منه وطعماً نستشعره وأملاً نتشوفه ونستشرقه وأياماً تطوى وذوقاً ينتشي بحلاوته ومرارته، نلتقي فيها لنرتقي ثم يعود اللقاء بنا بعد ذلك في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

وإن خير ما يجمع العباد في هذه الدنيا الأخوة الصادقة والصحبة الصالحة والحب في الله؛ لينال المرء الرتبة العالية ويدخل في السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**» [رواه البخاري ومسلم].

وبذلك ينال حلاوة الإيمان ويفوز برضا الرحمن «**من سره أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله**» أخرجه الحاكم في المستدرك.

ويغبطهم الشهداء والنبيون يوم القيامة، فالصديق الصدوق الصالح غنيمة في الدنيا وكنز في الآخرة.

ومن خلال ما مضى من رحلة مشوقة بين المعلم والتلميذ خرجت لنا لآلئ البحار وكنوز المحيطات نقتنص أصفاها وأحلاها:

١- الدعوة لإصلاح النية وإخلاصها لله رب البرية.

٢- الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- استشعار الأجر والثواب فهو خير وسيلة لجلب عزيمة دافعة للعمل وترك السآمة والملل، والدعوة إلى الصبر والتصبر فإنها من أخلاق الصالحين.

٤- الحرص على تطوير النفس وإضافة الجديد النافع في التعلم والتعليم والعمل.

٥- تشجيع التلميذ والمتربي على ما يظهره من أفكار إبداعية ففي ذلك دعوة إيجابية عظيمة تعينه على حب الإبداع والابتكار.

٦- من كان قاصداً الله تعالى في نصح عباده بارك الله له

في عمله وكتب له القبول في الدنيا والآخرة.

٧- فضل الاستشارة وعدم استغناء التلميذ عن استشارة معلمه ومن يفوقه في العلم والخبرة وهذا أدعى للنجاح وأبعد للأخطاء وأتم في الوفاء.

٨- الرجوع إلى العلماء والمتخصصين حاجة دائمة ملحة قبل الجرأة على الفتوى والإنكار والاجتهاد.

٩- حرص المعلم على موافقة الناس وائتلاف القلوب فيما يسع فيه ذلك دون مخالفة شريعة الإسلام.

١٠- عدم التوقف عن البحث العلمي وطلب التجديد والجدية والكتابة فيه وإظهار الفوائد العلمية، فإن الإنسان خلق ليتعلم ثم يعمل ويسعى لإضافة الجديد النافع.

١١- الطموح الدائم والمستمر والتفاؤل ونشر الأمل بالله تعالى، وشحذ همة التلميذ ورفع معنوياته وعدم استصغار أفكاره.

١٢- الحوار الراقي بين المعلم والتلميذ، والحرص على مشاركته همومه في كل ما يستجد.

١٣- الحرص على إرشاد التلميذ لما ينفعه في الدنيا والآخرة.

١٤- تعليق التلميذ بالله تبارك وتعالى أعظم هدية يقدمها الأستاذ للطالب والمعلم للمتعلم والأب لابنه.

١٥- التربية على إخلاص الأعمال لله وتصفية النية من الشرك والمعاصي.

١٦- مراقبة الله في كل الأحوال ينتج عنها صحة الأعمال الدينية والدنيوية.

١٧- الحرص على ترسيخ القاعدة الإيمانية التي استشهد بها الإمام مالك عند المتعلم وهي:

«ما كان لله يبقى وما كان لغيره يذهب ويفنى».

١٨- تواضع التلميذ للمعلم في السؤال وعدم تكبره واجتهاده مهما بلغ من العلم والمنصب والرتبة؛ حيث إن الحاجة لا تزال باقية.

١٩- تذكر التلميذ للمعلم في الهدايا والكلمات الطيبة دليل وفاء لمن أهدى له المعارف والعلوم النافعة.

٢٠- تعظيم المعلم لهدايا التلميذ ودعاؤه له بالخير يدل على خلق رفيع راق من المعلم تجاه التلميذ.

٢١- مبادلة المحبة وإظهارها خلق إسلامي دعا إليه النبي ﷺ.

٢٢- نشر ثقافة الأدب الإسلامي في الحوار يؤدي إلى مجتمع ثقافي آمن.

وخير ما نختم به الكلام ما قاله رب الأنام عن أهل السعادة الأبدية في الجنة الأمدية بعد بلوغ المرام ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

* * *

مُحتويات الكِتاب

فهرس المحتويات




دار مدى للنشر والتوزيع
Dar Mada For Publishing & Distribution
الكويت (00965) 55123010